

بعد أن احترقت أو كادت بهجة عمرى  
إذ رمت الأيام رماد حياتى في شعرى  
درس عرفته روى بعد فوات الأزمان ..

إن إحساس صلاح عبد الصبور المرهف بالواقع ووعيه الدائم به، واستعداده الطبيعي للتأمل، كل ذلك جعل إحساسه حاداً بالمفارقة. وقد استطاع ببصيرته النافذة وأسلوبه الناقد وحسه الساخر، أن يتقصى كثيراً من أبعاد النفس البشرية معبراً عنها في صدق وشفافية. يلتقى في هذه الميزة - الحس الساخر اللاذع - فضلاً عن أبى العلاء بكاتب إسبانيا العظيم سيرفانتس الذي يقول عنه بريتون راسكو (٤٥) :

(.. ثمّة أناس فطروا على النظر إلى الأشياء فى ضوء من الفكاهة الضاحكة؛ أناس لا يستطيعون فهم الآثار الأدبية التصويرية إذا بدت فى ثوب من الانفعالات المفجعة أو فى فن من العواطف الرقيقة المجنحة وهذا ليس معناه أنهم عاجزون عن الإحساس بالانفعالات إحساساً يبلغ من قوته وحدته إلا ينقذهم من عواقبه إلا أن يضحكوا؛ لا أن يضحكوا ذلك الضحك الهستيرى. ولكن ذلك الضحك اللطيف الساخر، الذى يتيح لهم فرجاً مما فى أعماقهم من ضيق ..).

وقد كان صلاح عبد الصبور واحداً من هؤلاء العظام.

